

عرض وتحليل للمجموعة القصصية "كان ما كان" لميخائيل نعيمة
*Presentation & Analysis of the story collection
"Kaan Ma Kaan" By Mikhail Naimy*

Wajiha Bashir

M.Phil Arabic, Arabic Department
National University of Modern Languages (NUML) Islamabad
E-mail: wajehaawan@gmail.com ORCID: <https://orcid.org/0009-0005-0580-8089>

Bushra Yasmin Hashmi

Teaching Research Associate, Department of Literature
Arabic Faculty, International Islamic University, Islamabad
E-mail: bushra.hashmi@iiu.edu.pk Orcid: <https://orcid.org/0000-0001-9131-0554>

Abstract

"Kaan Ma Kaan" is a collection of short stories published by Dar Al-Makshuf in Beirut in 1937. The collection consists of six stories: "The Cuckoo Clock", "Its new Year", "The Barren Woman", "The Ammunition", "Dear the Pasha", and "Shorty."

The collection was translated into Persian and published in 2014, and two stories, "The Its new Year" and "Dear the Pasha", were translated into English.

The stories are filled with memories and dreams, and they open up horizons of the past. Although the past may be all misery, Mikhail Naimey interacted with humanity in this collection, and he meditated on life and the secrets of the human soul, focusing on emotions and feelings that he conveyed through a magical and descriptive narrative, causing the reader to interact involuntarily with them. In each story of this collection, the human ego was present. This ego is what made Khatab turn his back on the field and immigrate to America to challenge the Cuckoo Clock that took his beloved, and it is the same ego that made the beautiful woman in "The Barren Woman" commit suicide because she did not find herself in the heart of Aziz, who wanted her for the Children. In her letter to Aziz, she repeated the word "I" seventeen times. This ego is what made Shorty say, "Names among people are used like branding for cattle, to distinguish one from the other, and they do not perform the qualities of the named." Shorty repeated the word "I" four times in the first part of his letter before the author interrupted him and eight times in the second part.

This ego seeks its happiness and hates what harms it. This collection seeks identity in its foreignness and seeks to communicate with others in peace and love. "Kaan Ma Kaan" revealed several social themes, including immigration to the West, its positives and negatives, and its effects on Arab immigrants, the preference for males over females in the Arab mentality, in the past and present, and the issue of infertility in women, as well as the negative effects of wars on individuals and communities.

Keywords: Mikhail Naimy, New Arabic trends, Immigrant literature, Fictional Literature.

كان ما كان: مجموعة قصصية، للأديب اللبناني المهجري ميخائيل نعيمة، طبعتها دار المكشوف بيروت سنة 1937م، وتضم ست قصص، وهي: ساعة الكوكو، سنتها الجديدة، العاقر، الذخيرة، سعادة البيك، شورتي.

ولهذه المجموعة القصصية كان ما كان ترجمةً إلى الفارسية، صدرت سنة 2014م، كما ترجمت قصتا (سنتها الجديدة) و(سعادة البيك) إلى الإنجليزية.

ويقول الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف عن تسمية المجموعة القصصية باسم "كان ما كان":

(كان ما كان... ألا إنها كلمة سحرية، تفيض بالذكريات والأحلام، وتفتح على

النفس آفاقاً من الماضي، وما أحب الماضي إلى النفس وإن كان كله الشقاء!).⁽¹⁾

ويقول الأستاذ محمود فهمي عامر:

(لقد تفاعل ميخائيل نعيمة في هذه المجموعة مع الإنسان، ومضى فيها متأملاً الحياة

وأسرار النفس البشرية، مركزاً على المشاعر والأحاسيس والعواطف، التي نقلها بتصويرية وصفية

سحرية، تجعل القارئ يتفاعل بعملٍ لا إرادي معها، إن الأنا الإنسانية كانت في كل قصةٍ من

قصص هذه المجموعة، هذه الأنا هي التي جعلت خطر يدبر ظهره للحقل، وبهاجر إلى

أمريكا؛ ليتحدى ساعة الكوكو التي سلبت منه محبوبته، وهي ذاتها التي جعلت جميلة في قصة

"العاقر" تنتحر؛ لأنها لم تجد ذاتها في قلب عزيز، الذي أرادها من أجل العريس الولد، وقد

كررت جميلة كلمة أنا في رسالتها لعزيز سبع عشرة مرة، وهذه الأنا هي التي جعلت شورتي

يقول: "والأسماء بين الناس تستعمل كالدماغ للماشية؛ ليميز واحداً عن الآخر، فهي لا

تؤدي صفات المسمى"⁽²⁾، وقد كرر شورتي كلمة أنا في الجزء الأول من رسالته قبل أن يقاطعه

الكاظم أربع مرات، وفي الجزء الثاني ثماني مرات... فهذه الأنا تسعى لسعادتها، وتكره ما

يلحق الضرر بها، إنها مجموعة تبحث عن الهوية في غربتها، وتسعى للتواصل مع غيرها بسلام

ومحبة).⁽³⁾

1. ملخص لقصة "ساعة الكوكو":⁽⁴⁾

الشخصيات في القصة:

1. خطر الذي يصبح مستر طمس بعد رجوعه إلى القرية، ويلقبه الناس بو معروف.

2. زمرد.

3. سعدى.

4. أليس.

5. فارس خبير.

جرت أحداث القصة قبيل 1922م وهي عن "مستر طمسن" رجل أميركي، ولد في لبنان، وذهب في شبابه إلى أميركا، وعاش فيها عشرين سنة، ثم رجع إلى إحدى القرى اللبنانية الصغيرة فعاش فيها سنتين ثم مات، لقبه أهل القرية بـ "أبي معروف"؛ نظراً لحبه للخير، وإحسانه إلى كل أحد، وقد حكى قصته الحقيقية بأن اسمه "خطار" وكان أبواه من الفلاحين، وكان لجارهم ابنة اسمها "زمرّد"، اشتهر بين أهل القرية أنهما لبعض، وسيتزوجان إذا كبرا، وهذا ما أعدّ له أهل الشاب خطار والفتاة زمرّد سنة 1900م.

وفي هذه الأثناء رجع إلى القرية أحد أبناءها الغرباء من أميركا اسمه فارس خبير، في الأربعين من عمره، وجلب تحفاً وهدايا عجيبة وثمينة، منها: ساعة كوكو، وهي ساعة دفاقة، في جوفها طائر اصطناعي يخرج من طاقة في أعلاها إذا اكتملت ساعة، ويصيح: كوكو، بعدد الساعات التي انقضت من الليل أو النهار، وأصبحت ساعة الكوكو حديث القرية على مدى أسابيع، لا سيما زمرّد التي تمت لو بقيت في بيت خبير لتتمتع بمنظر الساعة.

تجهز عرس الشابين خطار وزمرّد، إلا أن زمرّد اختفت ليلة عرسها، وهربت مع فارس خبير على متن سفينة وجهتها الغرب، ومات بعدها بأسبوعين والدها حسرةً عليها. لام خطار نفسه كثيراً، وأنه لا يملك شيئاً، ولن يكون شخصاً يذكر إذا ما بقي في القرية، ولولا فقره لما تجرأ فارس خبير على خطف حبيبته زمرّد، فتجهز خطار للسفر إلى أميركا، رغم معارضة الأهل إلا أن ذلك كان أمراً واقعاً، فسافر، وشقي في أول أمره في الغربة إلا أنه شد من عزمته، فربح المال واغتنى تدريجياً، وكان أول ما اشتراه ساعة الكوكو التي علقها على جدار منزله الفخم، وأصبح خطار صاحب ثروة تزيد على المليون، وقضى أبوه وأمه في الحرب الأهلية في لبنان، وتزوج خطار فتاة سورية، اسمها "أليس".

كانت أليس فتاة عاشت وترّبت في الغرب، طامعةً في المال، ولذا تزوجت خطار، وأصبحت حياة خطار معها جحيماً، ولذا بات يفكر كلٌّ منهما في كيفية الخلاص من الآخر. التقى خطار بسيدةٍ عاملةٍ في إحدى المطاعم - حينما كان يتناول العشاء مع زوجته وصديقها الأميركي - وأعطاه عنوانه، وعند الرجوع إلى البيت طلبت منه أليس الطلاق واللقاء غداً عند المحامي نتيجة هذه الفضيحة، وإذا بتلك المرأة العاملة الفقيرة تصل البيت وتدخل، أما

أليس فتخرج غاضبةً من البيت مع صديقها الأمريكي، وتدفع المرأة الفقيرة فتسقط على الخادمة العجوز سعدى، التي تهوي إلى الأرض ميتة، فيرفع خطار والمرأة الفقيرة جثة الخادمة سعدى إلى غرفة محاذية.

لم تكن هذه السيدة الفقيرة سوى زمرد، التي لها خمسة أطفال، وقد أصبح زوجها سكيراً مقامراً.

2. ملخص لقصة "سنتها الجديدة": (5)

الشخصيات في القصة: أبو ناصيف، أم ناصيف، القابلة، بربرة.

قصة "سنتها الجديدة" لميخائيل نعيمة هي (أول قصة قصيرة كتبها، إذ يرجع تاريخ كتابتها إلى سنة 1914م).

تجري أحداث القصة في نهاية سنة 1908م ومطلع سنة 1909م، في قرية "يربوب" بريف لبنان، وهي مشهورة بجودة العنب فيها، وجودة الأبقار، وجمال نساء القرية.

شخصية القصة الرئيسية: أبو ناصيف شيخ القرية من نصارى لبنان، لديه سبع بنات، ويتلهف لأن يرزق بولد، وكلما رزق بنت يغضب ويقطب حاجبيه ويزيد متمنياً الموت، وهو يضرب زوجته ضرباً شديداً، ويقسو عليها، وهي يأتئها المخاض ليلة رأس السنة الميلادية، وأبو ناصيف ينتظر ابناً ذكراً هذه المرة، فيمضي الليل على الزوجة في آلام الولادة، وعلى أبي ناصيف في حزن وكرب، كأن زوبعة تدور في رأسه، وأتوناً يشتعل في رأسه، ثقل الرأس مظلم العينين، يصاب بالهواجس ويسترسل في الأفكار، يتمنى لو يرزق بابن، فسيتصدق بنصف عائدته من العنب، وسيقبل رجلي زوجته صباحاً ومساءً، ويطلب منها الصفح، ويخدمها بماء عينيه ودم قلبه، ولو رزق بنت فسيفقتلها خنقاً.

رُزق أبو ناصيف بنت، ماتت بعد ولادتها بلحظات، فدفنها سراً في الليل، وأعطى القابلة رشوةً لكي تسكت وتكتم السر، بل تذيع أن المولود كان ذكراً جهيضاً، والقابلة لم تخبر إلا بربرة فقط، وبالتالي بربرة ستخبر القرية كلها، في النهاية ترك أبو ناصيف الكنيسة، وربما غير دينه، وهجر قرية يربوب.

3. ملخص لقصة "العافر": (6)

الشخصيات في القصة: عزيز الكراج، وجميلة البشتاوي.

قصة "العاقرة" سبق نشرها في مجلة الفنون، سنة 1916م، ثم نشرت ضمن هذه المجموعة القصصية، بعد تعديلها وتنقيحها، وتعدّ من أوليات القصص العربي في الشكل والمحتوى، ويقول جورج صيدح:

(وقد كان نجاحها مشجعاً لنعيمة على السير قدماً في هذه الناحية من الأدب

الاجتماعي المثمر، فتوالى إنتاجه القصصي يهاجم به مختلف العادات والتقاليد المنكرة).⁽⁷⁾

"عزيز الكرباج" شابٌ جميلٌ، وحيد والديه، محترمٌ حسن الأخلاق، هاجر وعمره ثماني عشرة سنة إلى أميركا، وجمع ثروة طائلةً، ودرس وتعلم، وعاد إلى لبنان وابتنى منزلاً فخماً، واشتغل بالتجارة، في خلال سبع سنوات، تزوج سنة 1900م بـ"جميلة البشتاوي"، وهي شابةٌ جميلةٌ مثقفةٌ ثريةٌ، وحيدة والديها، وعاشاً أشهراً في سعادةٍ وهناءٍ مع أبي عزيز وأم عزيز، ولها خادمةٌ، وحياتها مستقرةٌ.

كانت جميلة تحب أن تصبح أماً لكنها كانت تكره دعاء الضيوف لها بالذرية، وكان فرحة حياتها غير مكتملة، ومّرّ عامان على الزواج، وبدأت العلاقة تبرد بين الزوجين، إلى أن سمعت حواراً بين عزيز وأمه، تطلب منه أمه علاج جميلة في بيروت، حتى لا ينقطع نسل العائلة، فذهبت جميلة مع حماها إلى بيروت لأسبوعين للعلاج، ولكن دون جدوى.

مر عامٌ كاملٌ، وأصبح عزيز بعيداً عن زوجته، يرجع في المساء ويدخّن، ثم ينام مبكراً في الساعة التاسعة، فذهبت جميلة للشام مع حماها للعلاج عند الأطباء والحكماء والأديرة، ولكن دون فائدة.

مرت عشر سنوات على الزواج، وصار عزيز يرجع البيت برائحة النبيذ والعرق، لا يخلق لحيته ولا يتنظف، ولا يكلم أحداً، بل يسب ويشتم إذا غضب وقد يضرب، وصار البيت كالمقبرة، وكره عزيز ووالداه جميلة، وتمنوا موتها، وأصبحت بلا خادمة، بل تعمل في البيت كالثور، وتشمت بها النساء، وأخيراً ذهبت إلى دير قديم يسمى دير العذراء، وحملت جميلة بعد عشر سنوات من العقم، وعاد زوجها ووالداه يحبونها، وعادت الخادمة، وتغير عزيز، وصار يحضر الهدايا والأطعمة إلى البيت، لكن جميلة كرهت ذلك كلها، وأصبحت بعزلة روحية، ونفرت من الناس من حولها، وذات يوم تركت لزوجها ورقةً تقول بأنها تنتظره تحت شجرة السنديانة التي كانا يلتقيان تحتها قبل الزواج، وعندما وصل عزيز رآها قد فارقت الحياة، وتركت له رسالة طويلة، كتبت فيها كل مشاعرها، وأخبرته أن هذا الجنين في بطنها ليس منه، وأنها لم تكن عاقراً، بل كان عزيز هو العقيم.

بعد موتها بفترةٍ سأل أحدٌ جميلاً - وقد انتقل إلى نيويورك في أميركا-: هل تزوج ثانية؟، فقال: "لا جميلة بعد جميلة".

4. ملخص لقصة "الذخيرة": (8)

شاهين بطرس الجزيني رجل رجع من البرازيل، حلو الحديث، يروي غرائب القصص مما رأى أو سمع في البرازيل، مثل الأفاعي الكبيرة التي تلتهم الثيران، وقصصه لا تنتهي، وهو لا يقص القصة الواحدة مرتين، وكل قصة أغرب من الأخرى، وهو لا يحب الاستخفاف بقصصه الخرافية وازدراءها، ومن أعجب عجائبه أنه اشترى من البرازيل قطعة خشبية مثلثة يسميها "ذخيرة"، منها ثلاث قطع فقط في العالم: واحدة في اسطنبول، وأخرى في بطرسبورج، والأخيرة في القدس، ويدّعي أنها من العود الذي صلب عليه المسيح، والأعجب أن شاهين علماني لا يؤمن بالأنبياء والملائكة ولا بالجنة أو النار، لكنه آمن بالمفعول السحري لهذه الخشبة التي من يعلقها لا تؤثر في جسده طلقات الرصاص والنار، ولا يغرق في البحر، وقد نجا شاهين بفضلها من النمر، ومن اللصوص الذين أطلقوا النار عليه لكنه نجا، ومن الحريق الذي أتى على البيت الذي كان يسكنه، وهنا يشك صديقه السامع في هذه الحكايات فيعلق شاهين الخشبة على ابنه "ألفريدو" ويريد إطلاق النار عليه لكن صديقه يزيجه في آخر لحظة، فتذهب الطلقة في الهواء، ثم يطلق شاهين الرصاص على قطة ابنه بعد أن يعلق الخشبة عليها، وهنا تتمزق القطة، ويتناثر دمها؛ فيخجل شاهين من كذبه، ويرمي البندقية جانباً، ويهجر صديقه.

5. ملخص لقصة سعادة البيك: (9)

الشخصيات في القصة: أسعد الدعواق سعادة البيك، روكس نصور، أبو عساف. أسعد الدعواق نصراني من سوريا، طويل القامة واليدين، مندلق الكرش، من بيت حكم رجاله أهل البلدة، ولما هاجر بعض أهل البلدة إلى أميركا وعادوا اشتروا الأراضي من عائلة الدعواق، ولم يبق لهذه العائلة إلا مجدداً بالاسم فقط، وديوناً عليها لا تحصى، بل إن أحد أهل البلدة من خدام عائلة الدعواق سابقاً واسمه "روكس نصور"، كان قد طلب يد ابنة أسعد، فطرده وزجره، كيف يطلب الخادم يد ابنة سيده؟! هاجر روكس إلى أميركا، ولما رجع بنى قصرًا، واشترى من الحكومة لقب "البيك" بالمال، وأصبح ينافس عائلة أسعد الدعواق على الوجاهة والمشیخة، مما أثار غضب أسعد عليه، فسحب أولاده من المدرسة، وترك الكنيسة، وصار لا يخرج من بيته،

وكثر أقاويل الناس وظنونهم فيه، ثم انتشرت الإشاعة بأنه قد اختطفته جنية، فاجتمع وجهاء البلدة بعد أسبوع للنظر في الأمر وإذا الشيخ أسعد يرجع ويعلن أنه حصل على منصبه القديم من الحكومة، وأصبح حاكم البلدة، واحتفل الناس بذلك، وأرجع أسعد أولاده إلى المدرسة، وصارت زوجته تدعى "البيكة"، ولكن البيك الثاني روكس تصور شك في الأمر، ولما استقصى الخبر عرف أن أسعد الدعواق كذب على الناس، وخدع أهل البلدة، ففضحه، وترك أسعد البلدة، وهاجر إلى نيويورك، وأصبح يتردد على مطعم أبي عساف السوري، ويتناول العشاء كل ليلة، ولا يدفع الحساب، وظل على هذه الحال سبع سنين، وأبو عساف يطعمه لوجه الله.

6. ملخص لقصة شورتي: (10)

تحدثت القصة عن "هالت" وهو جندي فرنسي، في السادسة والعشرين من عمره، قصير القامة، ولذا اشتهر بـ "شورتي" أي القصير، وهو خفيف الروح صاحب مزاحٍ ودعابةٍ، قبيح الوجه، نافر الوجنتين، ممتقع البشرة، غليظ الشفتين، واسع الفم، شعره طويلٌ قاسٍ كشعر القنفذ، صغير العينين والأذنين، في عينيه جاذبية، ثثار لكن لا يملّ أحد من سماع كلامه، في شتيمته عفة، وفي مزاحه نكتة، وفي كلامه خفة وبذاءة، وضحكته لا تتجاوز الابتسامة، شارك في عدة معارك، ونال الشارات والجوائز على شجاعته، ولكنه لا يتحدث عن المعارك والحروب، وعندما سأله أحدهم ذات مرة عن رأيه في الحرب؛ تظاهر كأنه لم يسمع السؤال، وغير مجرى الحديث.

أصيب شورتي بمرض جلدي، سماه الحكاك الفرنسي، وصار يخدش جلده بأظافره خدشاً قوياً، وصار نزيل مستشفى المعسكر، مع أحد عشر آخرين من الجنود، يخدمهم ويضحكهم بأحاديثه وقصصه، يحبه الجميع في المستشفى، ولولاه لكان هذا المستشفى مقبرة، والأسرة لحدواً، فهو فيلسوفهم ومهرّجهم وشاعرهم، وثلاثة أرباع الجنود مصابون بهذا المرض الجلدي، نتيجة الغازات الخردلية السامة، ولكن الجميع يتكتمون على سبب المرض، فيقال بأن سببه حشرات ميكروسكوبية، تصعد من أرض المستنقع، وتتغلغل في الجسم.

وذات ليلة قام شورتي وأحضر لزملائه زجاجة من السبيرتو، الذي مزجه بقليل من الماء، فهو يعطي مفعول خمر الويسكي، وسقى منه الجميع، وسكروا، وانصرف كل واحدٍ إلى فراشه، وفي منتصف الليل أوقف شورتي أحد زملائه الجنود، وطلب منه كتابة رسالة إلى السيد ودرو ولسن، ثم محى اسمه، وأراد أن يكتب رسالة إلى الجنرال دجان برشنغ (قائد الحملة الأمريكية العام)، ولكن في النهاية طلب منه أن يكتب رسالة إلى حبيبته، ثم أوصاه بإيصال الرسالة إليها

إن مات شورتي، ثم أراد شورتي أن يخرج من المعسكر في الظلام، فأطلق عليه الجندي الحارس النار، وسقط شورتي قتيلاً.

تحليل المجموعة القصصية "كان ما كان":

قصة (ساعة الكوكو):

الهجرة إلى الغرب مدعاة للثراء، وفتح آفاق جديدة للتجارة، فالشباب فارس خير رجوع ثرياً إلى القرية من أميركا، ومعه العجائب من التحف، وخطار هاجر إلى أميركا، وربح الكثير من المال، وصار مالكاً للكثير من المحلات التجارية، وتجاوزت ثروته المليون في وقت قصير.

وكانت هذه الفكرة - فكرة الهجرة إلى الغرب - مسيطرة على عقول الناس في الشرق، الذين كانوا يتصورون أن الحياة في الغرب مليئة بالمال والثراء، فهاجر مئات الآلاف من الناس من الدول العربية، وغيرها من أجل العمل في الغرب.

ولا زالت هذه الهجرة متواصلة خاصة من دول الشرق التي فيها الحروب، أو المشاكل الاقتصادية، يفكر الشباب وأصحاب المال في الهجرة إلى الغرب، والاستقرار في الدول الغربية. والمشكلة أن الفرص موجودة بشكل كبير جداً في بلدان الشرق، ومن يريد العمل والدراسة فسيجد الفرصة لذلك، وأيضاً كثير من الناس عندما يهاجرون إلى الغرب؛ تتغير أفكارهم عن الغرب، ويندمون بسبب الغربة، والغلاء، والضرائب، والحياة المادية التي يعمل فيها الإنسان الرجل والمرأة حتى يكسب نفقاته، وبعد سنوات يرى بأنه يعيش في مجتمع مادي، ليس فيه ترابط وعلاقات اجتماعية، مثل الشرق، وعندما يكبر الأولاد ربما ينسون لغة بلادهم، أو ربما لا يستطيعون الكلام بها، ولا يعرفونها، كما أن الكثير من الناس الذين هاجروا من الشرق غيروا دينهم أيضاً؛ أو تركوا العبادات في الإسلام.

ونلاحظ في القصة بأن عودة مستر طمس (بو معروف) من أميركا إلى القرية في لبنان أثرت بصورة إيجابية، فتوقف شباب القرية عن الهجرة؛ لأنه كان يقنع الشباب بالبقاء في البلد، وعدم الهجرة إلى الغرب، والعمل في بناء البلد، ويصور نعيمة هذه الحالة قائلاً:

(منذ حل بو معروف هذه القرية لم يهاجر من أبنائها ولا واحد، وكنا قبل ذلك لا

نستقبل مهاجراً عائداً حتى نودع عشرة نازحين، فتأمل!).⁽¹¹⁾

وعلى العموم، فإن نعيمة يوازن في هذه القصة بين محاسن الهجرة إلى الغرب، ومساوئها.

يتجلى مظهر التأثير بالغرب في عدة مواقف:

1. تأثر الناس وإعجابهم بالغرب وتحفه وأحاديثه، فأهل القرية كانوا معجبين بفارس خطار، ولباسه الإفرنجي، والعجائب من التحف التي جلبها، ومنها ساعة الكوكو، وعصا تتحول إلى مظلة، وساعة وكالوش (معطف طويل)، وتأثرت بمظهره وثرائه زمرد التي هربت معه إلى أميركا تاركةً أباهما والقرية، ومنتكرة لخطيبتها المتوقع خطار.

2. الحياة في الغرب تؤثر على الإنسان الشرقي، على المدى البعيد، وهذا التأثير يكون متعددًا في اللباس والحياة والفكر، وحتى في الأسماء، فنلاحظ بأن الفتاة السورية المولودة في أميركا اسمها (أليس)، أما الخادمة العجوز التي هاجرت من سوريا إلى أميركا فاسمها (سعدى)، وكذلك خطار بعد سفره إلى أميركا يصبح اسمه (مستر طمسون)، وبعد أن يعود إلى لبنان تاركاً الغرب يناديه الناس (بو معروف).

3. الشاب القروي خطار بعدما هاجر إلى أميركا وتزوج من أليس، اضطر لقبول صديقها الأمريكي الذي تدخل في حياة الزوجين منذ الأيام الأولى للزواج، فحضر حتى العشاء الذي خرج الزوجان لتناوله في أحد مطاعم المدينة.

وهذا الأمر قبيح ومذموم في حياة الشرق، ولا يمكن للإنسان أن يرضى بالصدقة بين زوجته والرجال الآخرين، حتى في العائلات غير المتدينة، فحضارة العرب لا تسمح بعلاقة المرأة أو الفتاة مع رجل خارج الأسرة، من غير المحارم، ولكن في الغرب قد يكون طبيعياً في كثير من الدول.

4. يصوّر نعيمة الهوّة بين الشرق والغرب قائلاً:

(الشرق يسير إلى محجة الحياة ومركبته قلبه، وجياده عواطفه وأفكاره، وأعتته إيمانه
وتقاليده المتصلة بالآرال، بينما الغرب يسير في مركبة روحها البخار أو الكهرباء، وعضلاتها
لوالب ودواليب من حديد وفولاذ، وأعتتها ادعاؤه واعتداده بنفسه).⁽¹²⁾

وهذه الحقيقة المرة، فالشرق كان متقدماً في العلوم الطبيعية وغيرها، وفي الاكتشافات العلمية، وفي فتح البلدان في العالم، وإنشاء المدارس والمكتبات والجامعات، وكان الغرب في ذلك الوقت متأخراً، وكان أبناء الأوروبيين يسافرون إلى الأندلس للدراسة، وحتى في القرن الماضي كانت الكثير من الدول في الغرب ضعيفة اقتصادياً، ومدينة لبعض دول الشرق، مثل: العراق، ومصر، ولكن في العصر الحاضر تخلف العرب والمسلمون وأهل الشرق كثيراً، في العلم والصناعة والتقنيات الحديثة، وتقدمت الدول الغربية التي ليس فيها النفط والغاز، ولكنها بدأت بالصناعات

والتجارة والتصدير، وصارت هي المسيطرة على الاقتصاد والتقنية الحديثة في العالم، بينما كثير من دول الشرق لديها الموارد الطبيعية مثل: الغاز والنفط، ولكنها لم تبذل الجهد للتقدم الصناعي والعلمي.

ولكن الآن بدأ الوضع يتحسن في بعض دول الشرق، من حيث التقدم الصناعي والعلمي، مثلاً: في ماليزيا وباكستان وتركيا.

يقارن خطار بين الشرق والغرب، ويقارن بين الفتاة الشرقية زمرد وبين الفتاة الغربية أليس، زمرد التي هربت من القرية مع خطار، وتزوجته وأنجبت له الأولاد، ثم تركها خطار، فبدأت زمرد تعمل وتكسب نفقة أولادها في أمريكا، أما أليس فهي تعيش في أمريكا، وتزوجها بو معروف، وقدم لها حياة مستقرة وراقية، ولكنها كانت متعلقة بصديقها الأمريكي، ثم تركت زوجها بو معروف، ويقارن نعيمة بين حياته في قريته وحياته في أميركا.

يصور نعيمة معاناة المهاجرين العرب في الغرب، ومن صور تلك المعاناة: المهاجرة السورية سعدى تعمل خادمة، وخطار شقي كثيراً في بداية حياته في أميركا، وزمرد أصبحت خادمة في مطعم، وهنا يشير نعيمة إلى أن الحياة في أمريكا والغرب ليست سهلة كما يتصور الناس، فكثير من المهاجرين يتعرضون للمشاكل في العمل والسكن والحياة. وتبرز القصة عدة قضايا اجتماعية، من أبرزها:

1. قضية هجرة الشباب إلى الغرب، وترك خيرات بلادهم، والحياة الكريمة التي يمكن أن يعيشها الرجل الشرقي ويوفرها لأسرته لو اجتهد وسعى إلى العمل في أرضه وحقله، أو في الفرص المتوفرة في قريته وبلده.

2. لا تقتصر عظمة الإنسان في مقدرته على تأليف كتاب أو نظم قصيدة أو نحت تمثال أو اختراع علاج؛ بل العظمة الحقيقية أن يكون الإنسان فعالاً في مجتمعه، ناشراً للخير، باذلاً للمعروف.

3. تحث القصة على العمل والكد والسعي، وبذل الجهد في الحياة.

4. يمدح نعيمة أخلاق القرويين في لبنان، وأنهم أهل الكرم، لا يوصدون أبوابهم في وجه طارق، بل يكرمون الضيف، ولا يتطلعون إلى ماله.

5. من العادات المنتشرة في القرى كثرة السؤال عن كل شيء، عما يخص الإنسان وعما

لا يخصه، لا سيما بشأن الغرباء.

6. أخلاق الإنسان الحسنة هي التي تجببه إلى الناس ويتمكن بها من قلوبهم، ونرى أن أهل القرية سموا "مستر طمس" بـ "أبي معروف"؛ ويبين نعيمة السبب قائلاً:

(بو معروف، وهل تدري ما يعنيه القروي اللباني بكلمة "المعروف"؟! خذ كل فضيلة عرفها الناس من آدم حتى اليوم: المحبة، الرفق، الشهامة، الصدق، العدل، المسالمة، اللطف، الدعة، نكران الذات، خذ هذه الفضائل وامزجها، يكن لك من مزيجها "المعروف"... ما هي إلا أسابيع قليلة حتى أصبح "بو معروف" عشيق صغارنا، وحبيب كبارنا، ورفيقنا في كل أفراحنا وأتراحنا، وشريكنا في كل أعمالنا، وقاضينا في كل مشاكلنا، ومرجعنا في كل متعبة وشدة). (13)

قصة (سنتها الجديدة):

تبرز القصة قضية العنف ضد الزوجة، وضربها والتشديد عليها، لأنها لم تنجب ابناً ذكراً. كما تبرز القصة نظرة الرجل الدونية إلى جنس الأنثى، وتفضيل الذكر على الأنثى، وعدم الرضا بقسمة الله تعالى.

وهذه النظرة الحقيرة إلى الأنثى كانت موجودة في الجاهلية، ولذا كان بعضهم يثدون البنات، خوفاً من العار، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾. (14)

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾. (15)

وهذه الكراهية للبنات، أو تفضيل الابن على البنت موجود في كثير من الدول والمجتمعات الشرقية، فالابن في نظر الأب وسيلة لكسب المال، والقوة، والدفاع، وهو وريث الأسرة، وسند أبيه، أما البنت فتتزوج وتذهب إلى بيت زوجها.

ولكن الآن مع التقدم وحياة المدينة وخروج الناس من ظلمات الجهل تغير هذا المفهوم عند كثير من الناس والعائلات، التي لا تهتم بالمولود ذكراً كان أو أنثى، فهم سواء، وهي حكمة الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾. (16)

ويصور نعيمة شغف أهل قرية يربوب بالهجرة إلى أمريكا بصورة ساخرة، قائلاً:
 (وهناك مزية أخرى يفوق بها أبو ناصيف أهل قريته، وذلك أنهم عندما يبدوون بعد
 البيوت التي نزع بعض أعضائها إلى أميركا، يصلون إلى بيت الشيخ ويقفون؛ لأنه هو البيت
 الوحيد في يربوب الذي لم يدفع بعد جزيّة لـكولبوس).⁽¹⁷⁾
 ومعنى ذلك أن جميع البيوت في قرية يربوب - إلا بيت أبي ناصيف - سافر منها بعض
 الناس إلى أميركا، ليعيشوا هناك ويدفعوا الضرائب للحكومة الأمريكية.
 ناقش نعيمة بصورة عامة بعض السلبيات للغرب، مثل: هجرة الشباب من الشرق بأعداد
 كبيرة جداً، للعمل والاستقرار في الغرب، ومشكلة الثقافة واللغة والحضارة الغربية التي غرق فيها
 أهل الشرق؛ فنسوا لغتهم وحضارتهم وأسلوب حياتهم الشرقي، وبعضهم حين يتزوج في الغرب
 يتعرض للمشاكل الاجتماعية؛ بسبب اختلاف الحياة والعادات.
قصة (العافر):

تبرز القصة قضية اجتماعية جديدة بالحوار، وهي نظرة المجتمع الشرقي السلبية إلى المرأة
 التي لا تنجب، فالنساء يستحقرنّها، وأهل بيتها يسخرنّها للخدمة إذ لا فائدة ترجى منها، ولو
 كانت على جانب كبير من الأخلاق والجمال، وهي عبء على الأسرة، ومنقصّة لهم، والعجيب
 أن آخر القصة يثبت أن العقم كان في الرجل ولم يكن في المرأة، لكن المجتمع والناس يلومون المرأة.
 واضطرت جميلة البشتاوي في القصة إلى خيانة زوجها مع رجل آخر؛ لتثبت له ولأسرته
 أنّها ليست عافر، وأن العقيم هو زوجها عزيز الكرباج.

ومع أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشد إلى الزواج من المرأة الولود المنجبة للأولاد، لكن
 لا يعني هذا أن المرأة العافر لا يمكن لها الزواج، أو أن يسخر منها أهل الزوج، أو ينقصوا من
 قدرها؛ لعدم قدرتها على الإنجاب، ولم تنجب من أمهات المؤمنين رضي الله عنهم سوى السيدة
 خديجة الكبرى رضي الله عنها، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ؛ فَإِنِّي
 مُكَاتِّرٌ الْأَنْبِيَاءَ بِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». ⁽¹⁸⁾

بطل القصة عزيز الكرباج هاجر إلى أميركا، وكسب في فترة قصيرة ثروة تقدر بخمسة
 آلاف دولار، ودرس وتعلّم، ولما عاد إلى لبنان ابنتى منزلاً فخماً، واشتغل بالتجارة، ولما ماتت
 زوجته جميلة البشتاوي رجع عزيز إلى مدينة نيويورك في أميركا، وهذه إشارة من نعيمة إلى وسائل
 العمل وفرص الثراء في أميركا والغرب، وكأن نعيمة يريد تشجيع الشباب في لبنان على الهجرة

إلى الغرب.

قصة (الذخيرة):

البطل في قصة (الذخيرة) شاهين بطرس الجزيني عاد من البرازيل، وقد هاجر إلى أمريكا الجنوبية كثير من العرب في القرن الماضي، هاجروا كسباً للمال، أو هروباً من الحرب الأهلية في لبنان في ذلك الوقت.

تتحدث عن الإيمان بالخرافة وكيف تجعل الإنسان أحمقاً لا يرى الحقيقة، كما ترمز القصة إلى أن يتوخي الإنسان الصدق فيما يقول ويحكي للناس، وأن يحدثهم بما يصدقه العقل البشري، لا بالأكاذيب والقصص الخيالية التي تسقط هيبة الإنسان واحترامه في أنظار الناس.

ويشير نعيمة هنا إلى موضع اجتماعي آخر، وهو الإفراط في المجتمعات الشرقية في الإيمان بكل شيء منسوب إلى الدين، إلى درجة الغلو، فالخشبة التي جاء بها شاهين بطرس من البرازيل كان يعتقد بأنها من الخشب الذي صلب عليه المسيح، ومن يعلقها ينجو من اللصوص والنمر، ورمصاص البندقية، فلو كانت فيها كل هذه الصفات، فلماذا لم تنجّ المسيح عليه السلام من الصلب والموت - حسب عقيدتهم -؟!

قصة (سعادة البيك):

هاجر بعض أهل القرية إلى أمريكا، وكسبوا الأموال التي اشتروا بها أراضي القرية، وكان منهم (روكس نصّور) الذي كان من خدم سعادة البيك، لكن لما رجع من أمريكا اشترى من الحكومة لقب البيك بالمال، وصار ينافي سعادة البيك، وأبو عساف في (سعادة البيك) افتتح مطعمًا في نيويورك.

ويشير نعيمة إلى احتفاظ العرب بثقافتهم وأخلاقهم الكريمة في الغرب، فأبو عساف كان يقدم طعام العشاء للبيك عدة سنوات، مجاناً لوجه الله؛ لأنه كان يعرف أنه مهاجر مشرد.

سعادة البيك أصبح ماسح أحذية وبائع جرائد في نيويورك، ينام على المقاعد في محطات القطار، ولا يجد قوت يومه، فيضطر لتناول العشاء يومياً في مطعم سوري مجاناً، لمدة سبع سنوات. العزة والزعامة الحقيقية تكتسب وتنال بالعلم، وبخدمة الخلق، وبطيب السلوك، لا بالأسماء الرنانة، والوراثة، فالمال والعلم حقوق مشاعة بين الناس، يحصل عليها من سعى إليها واجتهد، أما من يعوّل على مجد الآباء والأجداد دون عمل واجتهاد فسيخسر ما ورث، ولن يضيف إليه

جديداً.

ويبين نعيمة في هذه القصة أخلاق الرجل العربي في الغرب، فأبو عساف ظل يقدم العشاء سبع سنين للبيك أسعد الدعواق، لوجه الله، ولم يطلب منه شيئاً.

قصة شورتي:

هذه القصة تتناول الحرب، وآثارها السلبية على الإنسانية، وكيف تحطم حياة الكثير من الجنود والأسر التي يعولونها، بل يصابون بعاهاات مستديمة في أجسادهم؛ نتيجة الغازات والأسلحة السامة الفتاكة، كما تتحدث القصة عن معدن الإنسان النبيل، بأخلاقه وسلوكه وخدمته للناس، وأنه كالذهب الخالص لا يتغير ولو دفن في التراب آلاف السنين.

من يتأثر في هذه الحروب هم الجنود، أما القادة فغالباً يعيشون حياتهم بعيداً عن ميدان الحرب، والحرب لها آثارها المدمرة للبلد، المهلكة للناس، وبسبب الحرب يضطر الناس إلى الهجرة والرحيل، كما شاهدنا في كثير من دول الشرق خلال الفترة الماضية، في سوريا والعراق واليمن وليبيا، والآن في أوكرانيا.

ويظهر نعيمة من خلال هذه القصة كرهه للحرب، التي عاشتها لبنان مدة طويلة، أثناء الحرب الأهلية بين الفصائل اللبنانية، فكانت هناك مجازر بين الدروز والموارنة المسيحيين سنة 1840م، ثم سنة 1860م، ثم بين المسلمين والمسيحيين سنة 1958م، ثم كانت الحرب الأهلية اللبنانية من سنة 1975م إلى سنة 1991م، التي انتهت بالصلح، وهاجر بسببها مليون شخص من لبنان.

خاتمة البحث:

- أظهرت المجموعة القصصية (كان ما كان) عدة موضوعات اجتماعية، منها:
- الهجرة إلى الغرب، إيجابياتها وسلبياتها، وآثارها على العرب المهاجرين.
- تفضيل الذكر على الأنثى في العقلية العربية قديماً وحديثاً، ومسألة العقم في النساء.
- الآثار السيئة للحروب على الأفراد والمجتمعات.

الهوامش References

(1) من مقال للكاتب بعنوان (كان ما كان)، في مجلة الرسالة، العدد 227، نشر بتاريخ: 08-11-1973.
Men Maqāl Leikāteb Be'nwān (Kān Mā Kān), Fī Majalat Ar-Resālat, Issue: 227.

- (2) كان ما كان، ميخائيل نعيمة ص: 125، مكتبة صادر - بيروت، ط2/ 1949م.
Kān Mā Kān, Mīkhā'il Ne'īmat, P: 125.
- (3) مقال للكاتب على موقع (دنيا الوطن) على شبكة الانترنت، بعنوان: مجموعة "كان ما كان في الميزان"، نشر بتاريخ 28-02-2009، تاريخ التصفح: 18-09-2021، الساعة 10:20 ص، الرابط:
<https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2009/02/28/158179.html>
- (4) كان ما كان، ص: 7.
Kān Mā Kān, P. 7.
- (5) المصدر نفسه، ص: 40.
Ibid, P. 40.
- (6) المصدر نفسه، ص: 55.
Ibid, P. 55.
- (7) أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، جورج صيدح، ص: 264، دار العلم للملايين، ط/ 3، د. ت.
'Adabunā Ū'udabāu'nā Fi Al-Mahājr Al-Amrīkī, Jūrj Šaydah, P: 264.
- (8) كان ما كان، ص: 90.
Kān Mā Kān, P. 90.
- (9) المصدر نفسه، ص: 101.
Ibid, P. 101.
- (10) المصدر نفسه، ص: 112.
Ibid, P. 112.
- (11) المصدر نفسه، ص: 12.
Ibid, P. 12.
- (12) المصدر نفسه، ص: 27.
Ibid, P. 27.
- (13) المصدر نفسه، ص: 12.
Ibid, P. 12.
- (14) سورة النحل، الآيتان: 58، 59.
Sūrat An-Naḥl, Al-Āītān: 58, 59.
- (15) سورة التكوير، الآيتان: 8، 9.
Sūrt At-Takwyr, Al-Āītān: 8, 9.
- (16) سورة الزخرف، الآيتان: 49، 50.
Sūrt Al-Zukhruf, Al-Āītān: 49, 50.
- (17) كان ما كان، ص: 43.
Kān Mā Kān, P. 43.
- (18) سنن سعيد بن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، 1/ 164، ح رقم: 490، الدار السلفية - الهند، ط1/ 1403هـ - 1982م.
Sunan Sa'īd Ibn Maṣṣūr, Abū 'Othmān Sa'īd Ibn Maṣṣūr Ibn Shu'bat Al-Khurāsāni Al-Jūzjānī, Taḥqīq: Ḥabīb Ar-Raḥman Al-A'ẓmī, 1/ 164, Ḥ. Raqam: 490.